ضمير الفصل - واختلاف العرب حول الاعتداد به أو عدمه

اختلف النحاة حول تسميته[١]، وفائدته[٢]، وعمله أيضًا تبعًا لما وصلهم من نصوص عن العرب تعمل هذا اللفظَ أو تهمله[٣].

وجمهور العرب على أن ما كان فصلاً لا يغير ما بعده عن حاله التي كان عليها قبل أن يذكر، وذلك قولك: حسبت زيدًا هو خيرًا منك. وكان عبد الله هو الظريف[٤]، وبها قرأ الجمهور[٥] قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ**﴾ [الأنفال: ٣٢]. وقوله تعالى: ﴿**إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا**﴾ [الكهف: ٣٩]. وقوله تعالى: ﴿**وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ**﴾ [سبأ: ٦].

وقوله تعالى: ﴿**وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ**﴾ [الزخرف: ٧٦]. وقوله تعالى: ﴿**وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا**﴾ [المزمل: ٢٠].

وبالرفع فى الواقع بعده على أنه مبتدأ: قرأ زيد بن علي والأعمش[٦]، وابن أبي عبلة[٧]، وأبو زيد وعبد الله النحويان وعيسى بن عمر وأبو السمال وابن السميفع[٨]. قالوا: وهى لغة بني تميم[٩].

وحكى أبو عمر الجرمي: أن لغة تميم جعل ما هو فصل عند غيرهم مبتدأ، ويرفعون ما بعده على الخبر مطلقًا[١٠].

---

(١) الإنصاف فى مسائل الخلاف ٢: ٧٠٦، الهمع ١: ٦٨، التسهيل ٢٩.
(٢) الكتاب ١: ٣٩٤، الهمع ١: ٦٨، التسهيل ٢٩.
(٣) الكتاب: ١: ٣٩٤، الإنصاف ٢: ٣٠٧، الهمع ١: ٦٨.
(٤) الكتاب ١: ٣٩٥ وما بعدها.
(٥) الكتاب ٤: ٤٨٨، ٦: ١٢٩، ٧: ٢٥٩، ٨، ٢٧، ٨: ٣٦٧.
(٦) البحر ٤: ٤٨٨.
(٧) نفسه ٧: ٢٥٩.
(٨) نفسه ٦: ١٢٩، ٨: ٢٧، ٣٦٧.
(٩) الهمع ١: ٦٩، البحر ٤: ٤٨٨.
(١٠) الهمع ١: ٦٩، البحر ٨: ٣٦٧، ٧: ٢٥٩، وانظر التسهيل: ٢٩.

وقال أبو زيد: سمعتهم يقرأون: ﴿**وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا**﴾، يعني برفع خير وأعظم[1].

ونقل سيبويه[2] هذه اللغةَ عن أناس كثير من العرب[3] يجعلون هو وأخواتها في هذا الباب اسمًا مبتدأ وما بعده مبنيًا عليه.. فمن ذلك أنه بلغنا أن رؤبة كان يقول: أظن زيدًا هو خيرًا منك. وأنشد لقيس بن ذريح:

تُبَكِّي عَلَى لُبْنى وَأَنْتَ تَرَكْتَهَا ... وَكُنْتَ عَلَيْهَا بِالْمَلاَ أَنْتَ أَقْدَرُ(*)

قال الجرمي: والقوافى كلها مرفوعة[4]. مما يدل على أنه قد اعتدَّ بضمير الفصل. «أنت»، ورفع ما بعده على الخبرية قال ابن عطية فى قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ.....**﴾ أنه يجوز فى العربية رفع الحق على أنه خبر والجملة خبر كان[5]. وذلك لغة بني تميم. وقد أنكر الزجاج هذا الجائز فى العربية، وزعم: أنه لا يعلم أحدًا قرأ به فى الآية، وأن قراءة الناس إنما هي بالنصب[6]. والصواب ما ذكرناه، وهى لغة تميم، يرفعون بعد ضمير الفصل فى لغة غيرهم.

****

(١) البحر: ٨: ٣٦٧.
(٢) الكتاب ١٢: ٣٩٥ وما بعدها.
(٣) وكذلك فعل ابن مالك فى التسهيل ٢٩.
(٤) البحر ٨: ٣٦٧.
(٥) نفسه ٤: ٤٨٨.
(٦) البحر ٤: ٤٨٨. وانظر معانى القرآن وإعرابه للزجاج: ٢: ٤٥٤ وما بعدها.
(*) البيت من شواهد الكتاب ١: ٣٩٥ وقد نسب إلى قيس بن ذريح صاحب لبنى. وقد قاله يعنف نفسه على تطليقها لبنى، إذ يصف نفسه وهى تتبع لبنى بعد إيقاعه الطلاق عليها. والملا: ما اتسع من الأرض، أى كنت أقدر عليها وأنت مقيم بالملا معها. والشاهد: أنت أقدر: حيث ابتدأ أنت ورفع أقدر على الخبر ولو كانت القوافي منصوبة لنصب أقدر وجعل أنت فعلاً.